مجلة علمية دولية محكّمة نصف سنوية
تصدر عن مخبر الدراسات النقدية والأدبية المعاصرة جامعة-تيسمسيلت/الجزائر
ISSN 2571-9882 EISSN 2600-6987
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/297
Contemporary Studies is a bi-annual open access International double-blind journal. It is published by the University of Tissemsilt, Algeria.

المجلد: 10/ العـدد: 01 جوان (2026)، ص.ص290-301

تمثلات نقد الحداثة العربية في فكر فيصل درّاج

Manifestations of the Critique of Arab Modernity in Faysal Darraj's Thought

بلخياطي حاج لونيس
lounisbelkhiati@yahoo.fr
مخبر الدراسات النقدية والأدبية المعاصرة جامعة تيسمسلت الجزائر.
جامعة أحمد بن يحي الونشريسي- تيسمسيلت.
(الجزائر)

تاريخ الاستلام: 2026/02/24 تاريخ القبول: 2026/04/19 تاريخ النشر: 2026/06/02

ملخص:

تسعى هذه الدراسة إلى الكشف عن تمثلات نقد الحداثة العربية في فكر فيصل درّاج، بوصفه واحداً من أبرز النقاد الذين انشغلوا بتحليل مسارات المشروع الحداثي العربي وتقويم منطلقاته ومآلاته. فقد قدّم درّاج تصوّره النقدي للحداثة عبر جملة من مؤلفاته ومقالاته وحواراته الفكرية، متوقفاً عند تجارب رمزية أسهمت في تشكيل الوعي الحداثي العربي، وفي مقدمتها تجربة طه حسين التنويرية ومشروع أدونيس الشعري والفكري، وقد عمل درّاج على تتبّع المسار التاريخي للحداثة العربية منذ لحظة الاحتكاك بالغرب بظهور الصحافة والحملات الاستعمارية ، إلى تأثير النكسات العربية ضد الصهيونية، محلّلاً السياقات الفكرية والسياسية التي أفرزت الخطاب الحداثي، ومبيّناً الدوافع التي حملت النخب العربية على تبنّيه في بداياته. كما ناقش مظاهر الانقسام الفكري بين تيارات مؤيدة للحداثة وأخرى رافضة لها، رابطاً ذلك بتعقّد البنية الاجتماعية والسياسية العربية.

كلمات مفتاحية: تمثلات، الحداثة العربية، الحداثة الغربية، كتب الدراج.

Abstract:

This study seeks to uncover the manifestations of the critique of Arab modernity in the thought of Faisal Darraj, as one of the most prominent critics concerned with analyzing the trajectories of the Arab modernist project and assessing its premises and outcomes. Darraj articulated his critical vision of modernity through a range of his books, articles, and intellectual dialogues, pausing in particular at emblematic experiences that contributed to shaping Arab modernist consciousness—most notably the Enlightenment-oriented experience of Taha Hussein and the poetic and intellectual project of Adonis.

Darraj also undertook a tracing of the historical trajectory of Arab modernity, from the initial encounter with the West marked by the emergence of the press and colonial campaigns, to the impact of Arab setbacks in confrontation with Zionism. In doing so, he analyzed the intellectual and political contexts that generated modernist discourse, clarifying the motives that led Arab elites to adopt modernity in its early stages. Furthermore, he examined the manifestations of intellectual division between currents supportive of modernity and others opposed to it, relating these divisions to the complexity of Arab social and political structures.

Keywords:

Representations ; Arab Modernity; Western Modernity; Darraj's Writings

المقدمة:

مثلت حركة الحداثة قضية جوهرية مفتوحة على جملة من التصورات والرؤى النظرية، حيث استقطبت نقاشا مفاهيميا، ومعرفيا، وأصوليا، وهو ما يجعل البحث في جذورها، ومصطلحاتها، ومرتكزاتها الفلسفية مستمرا. يتطلب مقاربات متعددة ومن زوايا نظر مختلفة. لذلك فإن المقاربة التي سنخصها بالتحليل والعرض تتعلق بالناقد فيصل دراج الذي قدم إسهامات معتبرة في قضية الحداثة، وخاصة في كتابه الحداثة المتقهقرة (طه حسين وأدونيس)، إضافة إلى العديد من المقالات والحوارات، الأمر الذي أثار جملة من التساؤلات هي: كيف عرّف فيصل دراج الحداثة؟ ولماذا وصف الحداثة العربية بالمتقهقرة؟ في قراءته لحداثة طه حسين وأدونيس، ما هي الأدوات النقدية التي اعتمدها، والمرجعية التي أسس عليها رؤيته للموضوع؟ وما هي النتائج التي توصل إليها؟

ومن أجل الإجابة عن هذه التساؤلات المطروحة، توسلت هذه المقاربة بمنهجية نقد النقد، التي تعنى أساسا بتحليل المتون النقدية، وتسعى إلى تفحص مرجعيتها الفكرية والعلمية، وإلى استكشاف جهازها المفاهيمي والاصطلاحي ومختلف أدواتها المنهجية والإجرائية، الأمر الذي ميز هذه المقاربة في تناولها لمنهجية فيصل دراج في طرائق تعامله مع قضية الحداثة، وفي كيفيات تلقيه لمفاهيمها، وأشكال تمثله لأدواتها النقدية والتحليلية.

أولا : الحداثة/ قراءة في المصطلح والمفهوم :

1- الحداثة في الفكر الغربي:

أ- في المعنى اللغوي :

قبل الخوض في مفهوم الحداثة في الفكر الغربي، يتحتم علينا البحث في الجذر اللغوي لمصطلح الحداثة *modernism*، وما يمكن ملاحظته أن هذا المصطلح يتألف من شقين: الأول ***modern***، وبإجماع غالبية أهل الاختصاص فأن كلمة (حديث) هي الترجمة العربية لكلمة ***modern*** التي "دخلت اللغة الإنجليزية من كلمة لاتينية في القرن السادس، وهي مستقاة من ظرف الزمان اللاتيني ***(modo)*** بمعنى توا"[1]، أي الآن ومن زمن قريب، فلفظ (حديث) يطلق على كل ما هو جديد ينتمي إلى الوقت الحاضر، وقد "استعملت بكثرة منذ القرن العاشر، في المسجلات الفلسفية أو الدينية؛ يكاد يستعمل دوما بمعنى ضمني إما لُعَبيّ (انفتاح وحرية فكرية، معرفة أحداث الوقائع المُكتشفة أو أحداث الأفكار المُصاغة، غياب الكسل والرتابة) وإما عاميّ (خفة، انشغال بالزُجة، حب التغيير لأجل التغيير، ميْل إلى الاهتمام بالانطباعات الراهنة، بلا حكم على الماضي وبلا تفكير فيه)"[2]. فقد استعملت على وجهين: أولهما الانفتاح والحرية الفكرية ونبذ الرتابة والجمود، وثانيهما الاهتمام بالقضايا العصرية والسعي إلى التغيير وتجاوز الماضي.

أما الشق الثاني فهو اللاحقة ***ism*** التي تعبر عن اتجاه فكري بل مذهب أدبي نقدي، وهذا ما ذهب إليه الدكتور محمد مصطفى هدارة بقول: "ينبغي أن نفرق بين مصطلحين أجنبيين، من المؤسف أن كليهما يترجم ترجمة واحدة وهي (الحداثة) أما المصطلح الأول فهو ***modernity*** الذي يعني إحداث تجديد وتغيير في المفاهيم السائدة المتراكمة عبر الأجيال نتيجة وجود تغيير اجتماعي أو فكري أحدثه اختلاف الزمن. أما الاصطلاح الثاني فهو ***modernism*** ويعني مذهبا أدبيا، بل نظرية فكرية لا تستهدف الحركة الإبداعية وحدها، بل تدعو إلى التمرد على الواقع بكل جوانبه السياسية والاجتماعية والاقتصادية... وهو المصطلح الذي انتقل إلى أدبنا العربي الحديث، وليس مصطلح ***modernity*** الذي يحسن أن نسميه المعاصرة، لأنه يعني التجديد بوجه عام دون الارتباط بنظرية ترتبط بمفاهيم وفلسفات متداخلة متشابكة"[3].

وبناءً على ما سبق نجد أن مصطلح الحداثة في جذره اللغوي وظف في بداية الأمر للإشارة إلى حالة التحديث؛ أي التجديد الذي كان يطرأ على كل ما يتصل بحياة الإنسان، ثم تطور لاحقا ليتضمن بعدا زمنيا يحيل على ترتيب زمني محدد، يقسم بموجبه التاريخ في تسلسله إلى فترات زمنية معينة تختلف عن بعضها في المفاهيم والرؤى.

ب- في المفهوم الاصطلاحي:

هناك شبه إجماع بين الباحثين والنقاد على أن ارهاصات الحداثة بمفهومها المعاصر، قد اتضحت في أواخر القرن التاسع عشر، على يد الأب الروحي للحداثة الشاعر الفرنسي بودلير *Charles Baudelaire*، مؤلف ديوان أزهار الشر. حيث يعرفها جان بودريار *Jean Baudrillard* بقوله: "إن الحداثة ليست مفهوما سوسيولوجيا أو سياسيا أو تاريخيا، وإنما هي صيغة مميزة للحضارة تعارض صيغة التقليد؛ أي أنها تعارض جميع الثقافات التقليدية الأخرى السابقة أو التقليدية "[4]. لعل ما قصده جان بودريار من هذا الكلام هو أن الحداثة حركة قامت لنقض الثقافة الدينية التي كانت سائدة في المجتمعات الغربية، وبتعبير آخر هي دعوة للتحرر من الفكر الكنسي الذي اعتبره الحداثيون عقبة في طريق التطور والتحرر. كما يعرفها بودلير بقوله:" ما أعنيه بالحداثة هو العابر والهارب والعرضي، إنها نصف الفن الذي يكون نصفه الآخر أزليا وثابتا"[5]. هنا نرى أن مفهوم الحداثة عند بودلير ليس له علاقة بفترة تاريخية معينة، بل يقوم على رفض المألوف، ويعتنق الحرية في البحث عن الجمال المؤقت والإبداع الطارئ.

أما رولان بارت *Roland Barthes* فقد ارتبط عنده مفهوم الحداثة بالثورة العلمية التي توصل إليها الإنسان، إذ يعرفها: "بأنها انفجار معرفي لم يتوصل الإنسان المعاصر إلى السيطرة عليه"[6]، ونراه يؤكد أنه ليس بالضرورة اعتبار الأعمال الأدبية الحداثية أعمالا راقية وناضجة، إلا أن الرضا بها والدفاع عنها واجب، كما يقول: "ينبغي هنا أيضا ألا نحيد عن الموضوعية ونقول بأن أكثر أشكال الحداثة جدة ينطوي على نقائص وعيوب. (...). ينبغي أن نتخذ موقفنا من الحداثة وندافع عنها في مجموعها راضين بما تنطوي عليه من نقائص لا يكون في استطاعتنا تقديرها بالضبط"[7]. فالحداثة ليست معيار قيمة بقدر ما هي معيار فرق، أي الاختلاف الموجود بين أدب الفترة المعاصرة وأدب التاريخ الحديث وما سبقه وصولا إلى العصر الجاهلي. فلكل حقبة زمنية أدبها ولكل أدب ظروفه ومميزاته. فأدب عصرنا سيصبح يوما ما قديما يجب الخروج عليه.

تبقى الحداثة مفهوما يأبى التعريف بدقة عند الغرب، لأنها أوسع وأشمل من أن تحدد فهي تخترق كل مناحي الحياة الإنسانية، إنها رؤية شاملة تكشف عن منزلة الإنسان في الوجود، وعلاقته بما حوله. وهي كمفهوم معاصر تعتبر من إفرازات الفلسفة الأوربية، حيث قامت على العقلانية والذاتية والعدمية إذ تعتبر هذه العناصر الثلاثة دعائم أساسية استندت عليها. كما سعت (الحداثة) منذ ظهورها إلى تفكيك كل المسلمات والثوابت، وأعلنت التمرد على الماضي وإحداث القطيعة مع القديم، ودعت في المقابل إلى التجديد والانفتاح واللانهائية.

2- الحداثة في الفكر العربي :

أ- في المعنى اللغوي :

عند البحث في المؤلفات اللغوية العربية نجد أن مصطلح الحداثة لم يتعرض له النقاد العرب القدامى الذين تطرقوا إلى مصطلحات تقترب منه في المعنى من قبيل التجديد والتحديث والحديث، بحيث أن لفظة (حداثة) مشتقة من الفعل الثلاثي (حَدَث) بمعنى وقع، "والحدوث نقيض القدمة. حدث الشيء ويحدُث حُدُوثاً وحَدَاثةً، وأحدثه هو، فهو مُحْدَث وحديث. وحدث أمر أي وقع ، وأحدث الشيء أوجده، والحديث: الجديد من الأشياء"[8]. والمعنى ذاته نجده في المعاجم الحديثة، ففي المعجم الوسيط نجد الحداثة مصدر فعله حَدَثَ، نقول "حدث الشيء حدوثا وحداثة: نقيض قَدُمَ، والأمر حدوثا: وقع، والشيء: ابتدعه، وأوجده، والحداثة: سن الشباب، ويقال: أخذ الأمر بحداثته: بأوله وابتدائه"[9].

وتجدر الإشارة، أن المعاني المعجمية السابقة الذكر تقوم في الأساس عند شرح لفظ (الحديث) على مقابلته زمنيا مع القديم، فالبعد الزمني له من الأهمية بمكان في هذه الشروح، فهو يعبر عن رؤية نقدية تؤسس لفكرة التواتر الزمني في معنى (الحديث)، بالإضافة إلى لحظة الإبداع التي تعبر عن القطيعة مع الماضي وتشير إلى بداية فترة زمنية جديدة في تاريخ الفن، مما يؤكد على أن الحداثة في دلالتها اللغوية تعني المقابلة بين الراهن والقديم.

ب- في المفهوم الاصطلاحي:

إذا كان لا يمكن تحديد مفهوم الحداثة بدقة عند الغرب كما ذكرنا آنفا، فإنه من غير اليسير الإحاطة بمفهومها عند العرب لأسباب عديدة أبرزها الخلط بين المصطلحات لكثرة الترجمات واضطرابها واختلاف أساليبها. نظرا لعدم

وجود رؤية عربية موحدة وبالتالي تباين المفاهيم والرؤى هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى أدى هذا التباين في المفاهيم والرؤى إلى إحداث هوة واسعة بين النقاد ومنظري الأدب العرب جعلت من الاتفاق على تحديد مفهوم دقيق للحداثة غير ممكن، بل مستحيل. لذا سنعرض فيما يلي بعض المفاهيم الرائجة بين الباحثين في الموضوع ذاته.

لا خلاف على أن مصطلح الحداثة قد تسلل إلى مجال التداول في الفكر العربي بتأثير من الحداثة الغربية، فلا أحد يستطيع جحود الأصل الغربي للحداثة. إذ كل المعطيات تشير إلى أن دور المفكر العربي اقتصر على الاستقبال والاستجابة والتبني لاحقا. وهو الأمر الذي اعترف به رواد الحداثة العرب أنفسهم قبل غيرهم. إذ يؤكد محمد مصطفى هدارة "أن الحداثة العربية إنما هي حداثة غربية مؤكدة في كل جوانبها وأصولها وفروعها"[10]. وفي هذا بيان على أن الحداثة العربية أنجبتها الحداثة الغربية. والفكرة عينها نجدها عند محمد برادة في قوله: "بأن الحداثة مفهوم مرتبط أساسا بالحضارة الغربية وسياقاتها التاريخية وما أفرزته تجاربها في مجالات مختلفة. ويضيف أن استبعاد فكرة المقايسة بين الحداثتين لا يعني استقلال التجربة العربية عن تأثيرات الغرب. ذلك أن الحديث عن حداثة عربية مشروط تاريخيا بوجود سابق للحداثة الغربية وبامتداد قنوات للتواصل بين الثقافتين"[11]. فالحداثة العربية كانت نتيجة لاطلاع المفكرين العرب على الحضارة الغربية والتأثر بمنجزاتها.

وفي ذات السياق نجد عبد العزيز حمودة يذهب إلى أن "الحداثيون العرب منذ أوائل السبعينيات مباشرة، أي في السنوات التي تلت النكسة وسقوط الحلم العربي، حاولوا تقديم نسخة عربية لحداثة تتعامل مع واقع الحضارة الغربية"[12]، بعيدا عن الماضي الذي تدنست قدسيته وأصبح يرمز للانحطاط والتخلف، حيث مثلت النكسة نقطة تحول جعلت بعض المثقفين العرب وخاصة في المشرق يعيدون النظر في الثقافة العربية وتاريخها وتراثها، فقد أصبحت بعض النخب تنظر للتراث بريبة وشك، اقترن ذلك باحتجاج على حالة الجمود والرتابة التي عرفتها المجتمعات العربية، ودعوة إلى تجاوز التبعية للتراث. أدى كل ذلك إلى محاولة إحداث قطيعة مع الماضي وما يتصل به من ثقافة وفكر وتاريخ وفن ونقد.

وبالعودة إلى مفهوم الحداثة الأدبية نجد يوسف الخال يعرفها بقوله: "الحداثة في الشعر إبداع وخروج به على ما سلف، وهي لا ترتبط بزمن، وكل ما في الأمر أن جديدا ما طرأ على نظرتنا إلى الأشياء فانعكس في تعبير غير مألوف"[13]. فالخال لا يحدد الحداثة بزمن، بل يراها نظرة مختلفة للموجودات أثمرت فنا جديدا. ولعل أدونيس لم يختلف عن الخال إذ يعتبر "أن الحداثة رؤيا جديدة، وهي جوهريا رؤيا تساؤل واحتجاج، تساؤل حول الممكن واحتجاج على السائد، فلحظة الحداثة لحظة توتر، أي التناقض والاصطدام بين البنى السائدة في المجتمع وما تتطلبه حركته العميقة التعبيرية من البنى التي تستجيب لها وتتلاءم معها"[14]. أي أنها ترفض السابق، ولا تهتم للحدود والضوابط. ونجد لفيصل دراج نفس الرؤية إذ يعرفها قائلا: "إذا كانت الحداثة في الفكر ابتداعا للمعرفة ولأدوات إنتاجها، فإنها الحداثة في الآداب والفنون ابتداع لرؤيا جديدة..."[15]. وهنا نرى شبه إجماع بين النقاد الثلاثة على أن الحداثة الأدبية رؤية جديدة تتجاوز في جوهرها القديم والمتوارث، وتعبر عن تجربة فنية فريدة تواكب العصر. إذن الحداثة الأدبية هي تلك الثورة التي تعلنها الذات المبدعة على التقاليد والقطيعة التي تحدثها مع الماضي. إنها انفتاح وتطلع للكشف عن المستقبل. إذ الغاية من هذه المبادئ (التجاوز والثورة والقطيعة) هو إثبات التحول من حالة التقليد والجمود إلى حالة الابتداع. بابتكار أساليب متميزة مختلفة عن تلك الجاهزة البالية، أي الانفتاح على المستقبل واعتباره عاملا مهما في التطور والتغيير. والسؤال المحوري هنا: هل تحققت الحداثة العربية التي سعى إليها المثقفون العرب؟ سؤال يمكن الإجابة عليه من خلال قراءة متفحصة لكتاب الحداثة المتقهقرة طه حسين وأدونيس لصاحبه فيصل دراج .

ثانيا: نقد الحداثة العربية عند فيصل دراج :

1- التنوير والعقلانية:

في خضم حديثه عن التنوير والعقلانية في الأدبيات العربية الذي يتصدر كتاب الحداثة المتقهقرة، يقول فيصل دراج عن عصر النهضة أو ما يسميه بعصر التنوير، والذي يحدده زمنيا بالفترة الممتدة من منتصف القرن التاسع عشر إلى منتصف القرن العشرين: "يكشف تأمل عصر النهضة عن نزوعات حداثية أنجزتها جهود فردية أو جماعية، لم

تستطع، لأسباب كثيرة أن تغير من بنية المجتمعات العربية"[16]. بهذا الطرح يؤكد فيصل دراج أن أول إرهاصات الحداثة العربية كانت مع بداية عصر النهضة، التي يؤرخ لها بحادث الاتصال بين الشرق والغرب إثر حملة نابليون بونابرت على مصر؛ أي في اللحظة التي كشفت عن تخلف الشرق وتقدم الغرب، حيث نتج عن هذا الاتصال بين المنظومتين الشرقية والغربية صدمة بالنسبة للعقل العربي أفرزت جملة من الأسئلة أرقت المثقف العربي كان أهم سؤال فيها هو: كيف لنا أن ننهض؟ حتى قال الشيخ حسن العطار: "إن بلادنا لا بد من أن تتغير أحوالها ويتجدد بها من المعارف ما ليس فيها"[17]. بعد هذه الأسئلة التي لم يجد لها المثقف العربي الإجابة الشافية، كان لا بد من إرسال البعثات العلمية إلى أوربا، فقد أرسل محمد علي باشا بعثة على رأسها رفاعة الطهطاوي تلميذ الشيخ حسن العطار، بالإضافة إلى استقدام الخبراء والفنيين الأوربيين.

كما ظهرت في البلاد العربية الطباعة والصحافة. حيث لعبت هذه الأخيرة دورا كبيرا في الترويج لمبادئ الفكر النهضوي والدعوة للحرية والوحدة الوطنية والقومية، زيادة على ذلك فقد شهدت المجتمعات الشرقية حملة تبشيرية غير مسبوقة اهتمت بترجمة العلوم والآداب الغربية وتحديث اللغة العربية، حملة ساهمت الطباعة في إذكائها. كان لها دور بالغ في نشر المعارف العربية والغربية. هذه العوامل وغيرها نتج عنها "أقرب ما يكون إلى مناخ تنويري تقاطعت فيه اجتهادات فكرية، تشترك في وحدة الهدف، دون أن تشترك، لزوما، في وحدة الرؤيا ولا وحدة الأدوات"[18]. لقد اجتمع المثقفون العرب على هدف واحد تمثل في دفع الأمة العربية نحو سبل الحضارة والتطور، غير أن المواقف والتصورات قد تباينت عندهم.

نتج عن اختلاف الرؤى بين المثقفين العرب اتجاهين، اتجاه منبهر بالغرب يدعو إلى إحداث القطيعة مع الماضي وتبني الأفكار الغربية، واتجاه توفيقي قال بالاستفادة من شروط الحضارة الغربية في حدود الشريعة. اختلاف يرجعه فيصل دراج إلى "المراجع الفكرية، التي قبل بها هؤلاء المثقفون، والتي تختلف في ما بينها اختلافا كبيرا. كأن نرى، على سبيل المثال: علاقة طه حسين بالفرنسي ديكارت، وعلاقة محمد عبده، مفتي الديار المصرية، بالإنجليز بين سبنسر وداروين، وإعجاب السكاكي بأفكار نيتشه، وتمسك محمد عزة دروزة بالتراث العربي القديم، وتشبع السوري فرنسيس مراش بأفكار الثورة الفرنسية، وصولا إلى فرح أنطوان، الذي جمع بين ماركس ونيتشه وأفكار السيد المسيح"[19]. لقد كان للإيديولوجيات والمنطلقات المعرفية دورا كبيرا في تغذية الانقسام والتشرذم الذي أصاب أفراد النخبة العربية. وبالتالي تقلص العدد ونقص الجهود.

تبلورت رؤية أقطاب الاتجاه التوفيقي "مع الشيخ حسن العطار، ومن بعده رفاعة الطهطاوي وخير الدين التونسي إلى عبد الرحمن الكواكبي وجمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ورشيد رضا. فقد نشط أغلبهم نشاطا فرديا خالصا، بيد أن ما يجمع بينهم كلهم اشتراكهم في الاعتقاد بأن الإسلام، من حيث هو دين وثقافة وحضارة، ينبغي أن يقوم بدور فعال في توجيه الحياة الاجتماعية والثقافية والسياسية للفرد في مجتمع محدد أو للأمة في مجمل التجمعات البشرية على الأرض"[20]. تصور هؤلاء بأنه لا سبيل لتحقيق النهضة إلا بالرجوع إلى التراث والعمل وفق مبادئ الإسلام، في محاولة منهم لاجتثاث أسباب التخلف والاحتفاء بأسباب التقدم، متعاملين بمبدأ العودة والتجاوز، فأعادوا قراءة التراث والتاريخ بأدوات من صلب الثقافة العربية، فأخذوا ما يوافق ايديولوجيتهم واجتنبوا ما يعارضها.

أما الحداثيون العرب فقد "صرحوا بخطابهم التغريبي في بلاد الشام مثل بطرس البستاني، وشبلي الشميل، وفرح أنطوان، وأديب إسحق، وفي مصر أحمد لطفي السيد، وسلامة، وطه حسين. فشبلي الشميل يصرح بتلازم التقدم مع قيام نظام علماني في الدولة والمجتمع، ويسقط النظرية الداروينية على المجتمع، فيرى أن التقدم حصيلة اصطفاء تاريخي يقوم على أنقاض ما قبله، وهو يسلم بمركزية المثال الأوروبي في التطور التاريخي. وكان سلامة موسى يصف أي محاولة نقدية لهذا الاتجاه بأنها ترديد مقولات القرون الوسطى"[21]. لقد اعتقد هؤلاء بإمكانية محاكاة التجربة الغربية بصورتها وتطبيقها على المجتمع العربي، وإحداث القطيعة مع التراث. دون قراءة السياقات التاريخية والظروف الاجتماعية التي أفرزت الحداثة الغربية. ودون مراعاة خصوصية المجتمع العربي. وهذا غير ممكن لأن البيئة لها دور أساسي.

يصل فيصل داج إلى أنه "ليس سهلا الحديث عن عصر النهضة أو عن مرحلة تنويرية، ذلك أن أعداء النهضة والتنوير لم يفقدوا أبد مواقعهم، وكل ما يمكن الحديث عنه هو: مراحل النزوعات التنويرية، التي اتسعت مرة وضاقت مرة أخرى، إلى أن استعادت الأيديولوجيات الماضوية موقعها بعد هزيمة حزيران، وتمكنت، بعد ذلك من تهميش التنوير تهميشا مروعا بلغ ذروته اليوم"[22]. لقد اختصر فيصل دراج النهضة العربية في نزوعات فردية لأنها لم تجد المناخ المناسب لاتساعها وتعميمها إلى أن خنقتها الدعوة إلى العودة للتراث. ويرجع تهميش التنوير وصعود الأيديولوجيات الماضوية كما يزعم إلى "التجربة التاريخية المعيشة، التي اختبرت الأفكار النهضوية وكشفت وجوه قلقة فيها، اتصل الأمر بمحاكاة النموذج الأوروبي محاكاة محسوبة، وهو ما حلم به طه حسين، أو إمكانية المصالحة المطمئنة بين العلم والدين."[23]. يعتقد فيصل دراج أن التهميش كان من نصيب النهضة لانقسام أفراد النخبة العربية بين مقلد أعمى للغرب وموفق غير عادل بين العلم والدين. يحسب لفيصل دراج هذا الانتصار الواضح للحداثة على الأصالة، وللعقلانية على الشريعة. وإن كان يرى أن الحداثة الأوربية لا تناسب المثقف العربي الذي عليه أن يجسد حداثته العربية وفق رؤيته وتطلعاته. إذ أن "الحداثة عملية كونية، لا تحتاج إلى نعوت وصفات. فالإنسان العاقل، لا يقرر أن يكون حداثيا يشاكل الفرنسي أو الإسباني، بل يسعى إلى أن يكون حداثيا"[24]. فالحداثة إذن تصور فردي يعكس رؤية الإنسان لما حوله. فهي ليست محاكاة ولا تلفيق، بل هدم للأفكار السابقة، إنها لحظة إبداع تفصل بين الماضي والحاضر.

2- حداثة طه حسين :

ينطلق فيصل دراج في نقده لفكر طه حسين من معالجة شمولية لمؤلفاته (في الشعر الجاهلي، ومستقبل الثقافة في مصر ...)، حيث يرى أن خطاب طه حسين يتوزع، "وفي مستوى منه، على اتجاهين، يؤكد أحدهما التبدل والارتقاء، فالتبدل من سنن الكون والارتقاء قوة وطنية، ويطلب ثانيهما التعلم من التجارب الإنسانية الراقية والناجحة، لأن الإنسانية جمعاء تتبادل الخبرات والمعارف"[25]. لقد حمل خطاب طه حسين دعوة للتغير والاستفادة من تجارب الحضارة الغربية، غير أننا نجد لحامد أبو زيد رأي آخر فطه حسين عنده كان " مترددا في حسم القضايا الرئيسة لمعادلة النهضة العربية. فلم يعد الغرب بالنسبة إليه أفكارا تحتاج إلى إيجاد مثيل لها يوافقها من التراث الإسلامي، بل تحول إلى أداة لتحليل التراث وفهمه ونقده"[26]. وبهذا يمكن اعتبار طه حسين واحدا من دعاة المنهج التوفيقي الذي ظهر مع ظهور حقيقة الغرب الاستعماري.

يتصور طه حسين أن تأسيس مشروع نهضوي عربي حداثي يستدعي توفر بيئة ديمقراطية تحاكي الديمقراطية التي تمارسها المجتمعات المتحضرة، حسب ما ينقل عنه فيصل دراج ، "فلا استقلال بلا حداثة، ولا حداثة بلا ديمقراطية، ولا ديمقراطية بلا بشر يميزون بين الديمقراطية والاستبداد: إن النظام الديمقراطي يجب أن يكفل لأبناء الشعب جميعا الحياة والحرية والسلم ... "[27]. لقد ربط طه حسين بين الاستقلال والحداثة وبين الحداثة والديمقراطية وبين الديمقراطية والوعي وجعل الوعي حلقة في بداية السلسلة فبالوعي والمعرفة تتحقق الديمقراطية التي هي أساس الحداثة وبهم جميعا يتحقق الاستقلال وتعم الحرية. ويضيف إلى جانب الديمقراطية كشرط أساسي لقيام النهضة. شرط آخر هو المدرسة التي تضمن تعليم أفراد المجتمع، حيث "احتلت المدرسة، التي تواترت على قلم طه حسين، مكانا مرموقا في تاريخ مصر الحديث. وحملت الكلمة دلالتين متلازمتين: فهي إشارة إلى دولة تريد أن تكون حديثة، وإشارة إلى الغرب الحديث الذي تأخذ منه الدولة نموذجها المدرسي"[28]. بالرغم من الوجود السابق للمدرسة في المجتمعات العربية، إلا أن دراج جردها من وظيفتها التعليمية ونسب إليها الفوضى، فهو يصف الأزهر بأنه "مكان تقليدي ينقض الانضباط والانتظام"[29]،ويربط قيام الدولة الحديثة باعتماد النموذج المدرسي الحديث المقتبس من الحضارة الغربية أساسا. والظاهر أن هذا الكلام يحمل مغالطة لأنه ينفي وجود المدرسة بنموذجها الحديث عند العرب بصفة عامة، وفي مصر خاصة قبل الحملة الفرنسية. فيما أن العرب عرفوا المدرسة والجامعة قبل الغرب بقرون والتاريخ يشهد على ذلك.

ومن جهة أخرى نجد طه حسين يربط فشل المشروع الحداثي العربي ببنية المجتمع والأفكار السائدة. فهو يؤكد "أن الأعراف والتقاليد وطرائق التفكير هي التي تمنع العرب من بناء حداثتهم وتكوين حضارتهم ولا بد من إزالة هذه العوائق وتغييرها حتى يتاح للوعي الحديث أن يأخذ مكانه ودوره في حياتنا ووجودنا"[30]. بينما يذهب فيصل دراج إلى "أن

الوعي الديني المغلق، الذي أعاد إنتاجه نسق من المشايخ التقليديين شكّل، منذ البداية، ولا يزال، عائقاً أمام الفكر الحداثي، وفقاً لصيغة مزوّرة، تساوي الحداثة بالإلحاد، والشيخ بالكلام المقدس الذي يستعمله"[31]. فالحداثة انفتاح؛ هي ذلك التحول الجذري الذي يطرأ على كل جوانب الحياة البشرية، إنها تغيير شامل في الأفكار والمفاهيم والآليات. يتطلب تجسيدها توفر مناخا ثقافيا واجتماعيا يؤمن بالتطور كحالة طبيعية والتغير كضرورة تاريخية. وعليه هل وجدت أفكار طه حسين ومن شاكله جمهورا يسعى لتحقيق المشروع الحداثي؟

3- حداثة أدونيس :

بدأ فيصل دراج حديثه عن حداثة أدونيس، بعنوان الجزء الثالث من كتاب الثابت والمتحول، المحدد بـ: صدمة الحداثة. إذ "يوحي العنوان وهو يشير إلى الواقع العربي، بحداثة معوقة، فهو لا يتحدث عنها كمعطى داخلي بل كصدمة خارجية"[32]. وهذا تأكيد آخر يفيد أن الحداثة العربية منذ بدايتها الأولى لم تكن سليمة. فهي ليست من صلب الثقافة العربية. لذلك لم تلقى القبول من الجميع، ولم تحظى بالرعاية اللازمة. فإذا كان حالها الإعاقة، فإنه لا غرابة، "أن تتوزع هذه الحداثة على مشاريع فردية، أو جزئية، وأن تتعين دائما كحداثة مبتورة. تأخذ بأبعاد من الحداثة وتعرض عن أخرى"[33]. فالحداثة العربية لم تكن حداثة مؤسسة بل كانت أفكارا ورؤى متباينة تعكس توجهات أصحابها تجسدت في مشاريع فردية، ولدت مبتورة لأن "السلطات السياسية، في العالم العربي فصلت بين الحداثة التقنية والحداثة الفكرية، مختصرة الأولى إلى استيراد السلع والأسلحة، ومعتبرة الثانية شراً وافداً، لا يأتلف مع الأصالة العربية"[34].فالسلطات السياسية العربية كان لها دور في فشل المشروع الحداثي لأنها اعتبرته شرا ينقض أسس حكمها، ذلك أن الحداثة الفكرية تعني تحرر الفكر وتنوير العقول وبالتالي الثورة على الفساد السياسي الذي اشتهرت به البلدان العربية.

لقد ظل مفهوم الحداثة حاضرا بقوة في فكر أدونيس، إذ يمكن تصنيف جل أعماله النقدية وإبداعاته الأدبية ضمن نتاج الفكر الحداثي. وعند البحث في أعماله نجده يُرجع ميلاد الحداثة في المجتمع والأدب العربيين إلى حدود القرن السابع الميلادي، وعنها يقول: "إن الحداثة في المجتمع العربي بدأت كموقف يتمثل الماضي ويفسّره بمقتضى الحاضر. ويعنى ذلك أن الحداثة بدأت، سياسيا، بتأسيس الدولة الأموية، وبدأت فكريا، بحركة التأويل"[35]. فهو يعتبر تاريخ تأسيس الدولة الأموية نقطة تحول شهدها المجتمع العربي في الجانب السياسي، كما اعتبر تأويل النصوص القديمة تأويلا يلاءم الوقائع المستجدة تحول بارز في تاريخ الفكر العربي. حيث شكل التعارض بين القديم والحديث أو المحدث الذي تعود جذوره إلى القرن السابع الميلادي في نظر أدونيس الملامح الأولى للحداثة في البيئة العربية. أما الحداثة الشعرية فقد أرخ أدونيس لنشأتها بداية من العصر الجاهلي فقد كانت سائدة عند امرؤ القيس. ولقد "سار في هذا الاتجاه التمردي الذي بدأه امرؤ القيس شعراء كثيرون في العصر الأموي، لكن على تفاوت وتنوع. مثل الحطيئة وأبو الطمحان القيني والنجاشي الحارثي والأقيشر الأسدي وغيرهم كثيرون"[36]. وقد استمر هذا التمرد كما تمثل "عند أبي نواس و إلى الخلق لا على غير مثال، خارج التقليد وكل مورث كما عند أبي تمام"[37]. حيث كان غرض الشعراء المتأخرين الخروج عن الموروث ونقض التبعية للأسلاف في النظم والإبداع.

حاول أدونيس من خلال هذا المسعى، الذي يؤرخ فيه لإرهاصات الحداثة العربية، التنقيب عن جذور الحداثة في التاريخ الإسلامي، لكنه بهذا جردها من مضامينها وبعدها التاريخي وشحنتها المفهومية، عندما ربطها بالتراث، إذ يعتبر ما أشار إليه عندما حاول التأصيل للحداثة تعميما للمصطلح وإفراغه من فلسفته التي قام عليها وإخراجه من سياقه التاريخي الحديث، بإسقاطه على تعارض بين القديم والحديث في مرحلة تاريخية تختلف تماما عن المرحلة المعاصرة.

وبناء على ما سبق يمكن القول أن مفهوم الحداثة لدى أدونيس لم يكتمل إلا عن طريق الممارسة الشعرية، وهو ما ذهب إليه فيصل دراج بقوله: "وصل أدونيس إلى مفهوم الحداثة عن طريق الممارسة الشعرية، وذلك لسببين: فقد بدأ، أولا شاعرا متمردا، ينكر التصور التقليدي ويدعو إلى تصور نقيض، موحدا بين الإبداع الشعري والتنظير للممارسة الشعرية المبدعة"[38]. وبذلك سبق الإبداع التنظير والنقد عند أدونيس.

حقق أدونيس حداثة أدبية بالانفتاح على التجديد في التجربة الشعرية. "بجهد متواتر استثنائي متميز، كافح أدونيس كي يكون شاعراً مختلفاً عن غيره، وكافح، بشكل موازٍ، كي يكون مصلحاً اجتماعياً حداثياً"[39]. لقد صور دراج أدونيس على أنه شاعر مصلح وثوري حداثي من نوع خاص، فهو رائد الحداثة الشعرية بلا منازع.

يؤكد دراج أن أدونيس بنى نظريته "في الحداثة مستنداً، أساساً، على اتجاهين: الاتجاه الأول هو نقض الإتباع القائم على القديم والمحكوم بتصوراته، كما لوكان يثبت معنى الحداثة عن طريق السلب، إذ الحداثة هي ما ينقض القديم ويأخذ بتصورات تبرّر التخلي عنه. أما الاتجاه الثاني فهو الشعر العربي الذي غاير الشعر الجاهلي وتمرد عليه، وهو ما يحدّد الحداثة الشعرية مجازاً للحداثة في أبعادها كلها"[40]. أي أن الحداثة العربية اقتصرت على الشعر فقط ولم تمس الجوانب الأخرى، ويعتبر أدونيس منظر الحداثة الشعرية. غير أننا نجد أدونيس يقر أنه لا يستطيع تأسيس حداثة خاصة منقطعة عن حداثة القدماء بقوله: "والحق أننا نحن العرب اليوم، لانخلق حداثتنا الخاصة في القرن العشرين بقدر ما نستعيد قليلا أو كثيرا مبادئ الحداثة التي خلقها بعض أسلافنا الهامشيين في القرن التاسع والعاشر وهي استعادة تتمثل فيما سميته بالحداثة المضمرة"[41]، فالحداثة الشعرية العربية المعاصرة حسب أدونيس هي استعادة للحداثة المضمرة التي خلفها الأسلاف الهامشيين وما تضمنته من أفكار وأعمال فنية تعكس فكرة الثورة على التقاليد والتمرد على المألوف والسائد. ومن جهة أخرى نجد أدونيس يؤكد أن "الحداثة اليوم، في المجتمع العربي، بوصفها مفهوما أو تنظيرا، وبشكلها العام السائد، إنما هي غربية بكاملها، وأننا عندما نتكلم عليها، إنما نتكلم على الآخر، متوهمين أن هذا الآخر هو الذات"[42]. لعل أدونيس بهذا الكلام لا يقصد الحداثة الشعرية لأنها موجودة منذ العصر الجاهلي في نظره، وإنما أراد الحداثة بوصفها مفهوما شاملا لكل جوانب الحياة الإنسانية. كما نجد فيصل دراج و في أكثر من موضع يؤكد أن الحداثة العربية ولدت معوقة، مبتورة، فكيف ترقى إلى مستوى النظرية؟

4- رؤية فيصل دراج للحداثة العربية:

كان ظهور الحداثة في الأدب العربي المعاصر ونقده كما رأينا نتيجة لحركة تاريخية، تخللتها محطات معرفية، غذتها مرجعيات وايديولوجيات مختلفة، منها ما يعبر عن الهوية العربية، ومنها ما يشير للثقافة الغربية المختلفة من حيث عوامل مختلفة كالمثاقفة والترجمة، ومنه يمكن حصر مرجعية الأدب العربي المعاصر ونقده في ثلاث اتجاهات، تمثلت "في واقع المجتمع العربي نفسه بما فيه من تحولات وتغيرات ومستجدات في حقول الاجتماع والسياسة والثقافة معا، ثم مرجعية ثانية هي مثاقفة الغرب والتأثر بفكره وحداثته وشعره، أما المرجعية الثالثة فهي التراث"[43].مرجعيات يثبتها فيصل دراج بقوله" ومع أن معظم الحداثيين العرب، في الثقافة والفن، قد تلقوا العلم في جامعات أوربية، فإن ما أنجزوه لم يكن ممكناً من دون التراث الذي استندوا إليه، وأعادوا إحياءه بشكل جديد"[44]. حيث اهتم أفراد النخبة العرب بإعادة قراءة التراث بوسائل ومناهج من صلب الثقافة الغربية.

يرى فيصل دراج أن "الحداثة العربية ولدت، ولا زالت، مشروعاً معوّقاً"[45]. يؤكد هذا الكلام حقيقة مفادها أن المشروع الحداثي العربي حمل بذور فشله منذ البداية، لأنه لم يكن وليد ثورة داخلية وإنما بسبب صدمة حضارية كما رأينا سابقا، ولأنه لم يحظى باهتمام القادة العرب أيضا. بالإضافة إلى انقسام المثقفين العرب بين قابل ورافض للفكر الذي أنتج تطور الحضارة الغربية.

وعن إخفاق المشروع الحداثي العربي وصعود التراث يقول فيصل دراج: "إن إخفاق المشروع الحداثي العربي لا يُفسَّر بمكوّنات الخطاب النهضوي، ولا بإسلام جوهري معادٍ للحداثة، أو بعقل عربي إتباعي ينكر الإبداع، إنما يفسّر بممارسات السلطات العربية"[46]. التي رسخت ثقافة مجتمعية لا تقبل الفكر الحداثي، من منطلق خصوصية المجتمع العربي الإسلامي، لتبرر حالة الجمود السياسي الذي أنتج الفساد وتوريث الحكم، وقتل نزعة الحرية في الفرد والمجتمع.

وبناء على ما سبق يتضح أن فيصل دراج قد حكم على الحداثة العربية باتجاهيها التغريبي والتوفيقي بالفشل. غير أن المتتبع لهذا الشأن يلاحظ أن حركة الحداثة العربية وإن كانت مشاريع فردية فقد تركت أثرا واضحا في الثقافة والمجتمع العربيين؛ فجماعة التوفيق التي رأت أن قيام الحداثة الإسلامية لا يكون إلا باجتثاث الفكر الغربي. قد وقفت سدا منيعا حال دون انسلاخ الهوية العربية، كما يحسب لها إحياء التراث وتجديده. لقد كانت المدرسة التي كونت جيل الثورة

الذي حرر الأقطار العربية من الاستعمار الغربي. وفي المقابل نجد جماعة المشروع التغريبي التي تقول بالقطيعة مع التراث وتقبل بالفكر الغربي فإليهم ينسب استيراد المناهج النقدية الغربية، كالبنيوية وما بعدها، وترجمة الآداب والعلوم الغربية، وبهم كان ميلاد الرواية كجنس أدبي جديد في الساحة الأدبية العربية، ومعهم كانت الحداثة الشعرية، التي يعتبر أدونيس رائدها كما ذكرنا أنفا.

ثالثا: المنهج النقدي عند فيصل دراج:

استنادا إلى سبق، يمكن القول أن فيصل دراج أقام قراءته للحداثة العربية من خلال تصور فلسفي عميق يحسن الربط بالواقع الاجتماعي وخلفيته الفكرية، مستندا في ذلك إلى مرجعية ماركسية، بمنهج نقدي اجتماعي استطاع أن يحاور من خلاله النخبة العربية. محددا أسئلة النهضة العربية مع طه حسين المشكك بتاريخ الأدب العربي المطالب بإعادة كتابته، منتهيا إلى المشروع الحداثي العربي مع أدونيس، الذي يثير جملة من الأسئلة الجريئة، منطلقا من الشعر العربي المعاصر، الذي ظل تقليديا، ليصل منه إلى فكر عربي قديم هو أصل الوعي التقليدي المسيطر على الماضي والحاضر معا. بلغة واضحة منسجمة حينا، وغامضة قليلة الانسجام أحيانا أخرى، يجهر بدعوته إلى تحرير العقل من سلطة النص التراثي ويزعم أنه "لا معنى لإصلاح التراث"[47]. ويشترط لنهوض المجتمع العربي والتحاقه بركب الحضارة. قيام احتجاج عام فيه ومن صلبه؛ يؤدي هذه الاحتجاج إلى تحول سياسي واجتماعي عميق يرفض الجمود ويقبل بالانفتاح وينظم إلى التجربة الحضارية العالمية. ويعتبر "التراث الذي صعد مدويا بعد إخفاق التنوير ومشتقاته الضعيفة المتأخرة عمومية إيديولوجية مجردة تذيب وقائع الحياة المختلفة في عمومية بلاغية "[48]. ولعله قصد بهذا، أن الرأي الذي يؤكد إجابة النص المقدس على كل أسئلة الحياة قديمها وجديدها ومستجدها، مجرد توجه فكري اختزل وقائع الحياة في تأويلات كلامية. فهو يختفي وراء العبارات ولا يجهر برأيه في القضايا الحساسة.

وفق تصور نقدي متزن وبأسلوب متضامن ومتآزر. رأى دراج في طه حسين ذلك المتمرد الذي أعلن الثورة عن قدسية التراث، والذي أرسى معالم منهج الشك مستأنسا، "وهو يلقي محاضرات في الجامعة عن الشعر الجاهلي، بما قاله شيلر واستأنس، أكثر، بما جاء به ديكارت عن الشك المنهجي، أعطى في حديثه عن الشعر الجاهلي رأياً، وكان رأيه في الشعر الجاهلي مدخلاً إلى آراء أخرى"[49]. أسست لظهور أفكار ومفاهيم جديدة وجريئة تتصل بالقضايا الاجتماعية والسياسة والأدبية والنقدية...

بعد الوقوف على ما جاء به أدونيس كشف دراج عن إعجابه بجرأته وتوجهه، مبديا ارتياحا وتفاؤل لما عرفه الفن والشعر من تجديد، ويصفه بأنه: "من المبدعين العرب القلائل الذين وضعوا قاموسا لغويا خاصا بهم، يميّزهم من غيرهم ويُفصح عن الرؤيا التي يحملونها"[50]. فشعر أدونيس مثّل مرآة كشفت عن آراءه وتصوراته لقضايا الفن والنقد. ونحن نقول أن الفنان المبدع هو الذي يبدع ليحدث لذة ليخلق مثالا ليترك أثرا. لا الذي يبدع لينتهك المقدس ويستفز غيره. فإذا كان مفهوم الحداثة الأدبية يعني التشكيك في التراث والمساس بالمقدس ودعوة إلى إفشاء الرذيلة وانحلال الأخلاق. فأن لها أن تقوم في مجتمع له خصوصيته الثقافية وإن كان من يرى بها سبيلا لتحرر الفن وتحطيم القيود المفروضة عليه.

وختاما يصل فيصل دراج إلى أن الحداثة العربية عرفت "حقباً متوالية ملتبسة الحدود"[51]؛ فترة أولى عنوانها الجديد، وفترة ثانية عنوانها النهضة، وفترة ثالثة عنوانها الثورة، والحداثة التي ظهرت في النصف الثاني من القرن العشرين، تمثل عنده كلمة تعلقت بالفن دون غيره من قضايا المجتمع. لعل فيصل دراج بهذا الكلام لا يهتم لقضية المصطلح فسواء حملت اسم التجديد أو النهضة أو الثورة أو الحداثة، فالأمر عنده سيان. فهي مفهوم يقوم على رفض الجمود والخروج من عباءة الماضي والانفتاح على المستقبل. كما يمكن اعتبار فيصل دراج من خلال هذا التقسيم الذي أعاد به تاريخ الحداثة إلى ما قبل النهضة من أنصار الاتجاه الذي يرى أن الحداثة حركة من صلب التراث العربي.

خاتمة:

توصلنا بعد هذه الدراسة إلى جملة من النتائج يمكن حصرها في النقاط التالية:

– الحداثة مفهوم شامل اكتسح كل ميادين المعرفة، ظهر في أول أمره في المجتمعات الغربية. كانت غايته نقض الثقافة الدينية التي كانت سائدة في المجتمعات الغربية وما يتصل بها. وهو يشير في جوهره إلى الرفض والتمرد والثورة على الأوضاع السائدة، والتنوير والعقلانية والانفتاح واللانهائية.

– ولدت وترعرعت الحداثة في الغرب إذ تعد من إفرازات الفلسفة الغربية، ثم انتقلت إلى الثقافة العربية بتناقضاتها، عن طريق الترجمة لذلك تعددت مفاهيمها وتباينت لعدم وجود رؤية عربية موحدة، كما أثار مصطلح الحداثة نقاشا واسعا نتج عنه اختلاف في المواقف، أدى بدوره إلى انقسام المثقفين بين مناهض للحداثة ومتبنٍ لها.

– يرى فيصل دراج أن الحداثة العربية مجرد نزوعات فردية طرحها مثقفون عرب أدركوا أسباب التفوق الغربي، وأسباب التخلف العربي، لكنها لم تكن في مستوى نظيرتها الغربية لأن هذه الأخيرة رعتها طبقة حاكمة، وفي المقابل نجد الحداثة العربية عادتها الطبقة الحاكمة لأنها اعتبرتها شرا يهدد سلطتها.

– يؤكد فيصل دراج أن المشروع الحداثي العربي ولد مأزوما معاقا ومبتورا، لأن المثقفين الذين قبلوا بالفكر الغربي لم يجدوا المناخ المناسب لمشروعهم في الثقافة العربية. كما لم يحقق القائلون بتجديد التراث رؤيتهم، لأن الماضي المطلوب استرجاعه لا يمكنه الإجابة عن أسئلة الحاضر الشائكة.

– يتصور فيصل دراج أن أفكار طه حسين مثلت مشروعا تنويريا أسس لحداثة عربية لأن ما تضمنه كتابه(في الشعر الجاهلي) يعكس جرأة منقطعة النظير، حيث وجد هذا الفكر مؤيدين له في مختلف ميادين العلوم الإنسانية والاجتماعية، حتى أضحى رؤية اجتماعية مؤثرة خلال عصر النهضة. بينما يرى حامد أبو زيد أن طه حسين كان مترددا في حسم قضايا النهضة.

– يعتقد فيصل دراج أن أدونيس أسس نظرية في الحداثة. حيث تناول مفاهيم لهذه الأخيرة، بوصفها مصطلحا فكريا وإبداعيا يشمل مختلف المجالات المعرفية.

الهوامش:

1- طوني بينيت – لورانس غروسبيرغ – ميغان موريس: مفاتيح اصطلاحية جديدة معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع، تر: سعيد الغانمي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت- لبنان، ط1، 2010، ص276.

2- أندريه لالاند: موسوعة لالاند الفلسفية، مج1، تر: خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت، ط2، 2001، ص822.

3- محمد مصطفى هدارة: الحداثة في الأدب العربي المعاصر، هل انفض سامرها؟ مجلة الحرس الوطني، العدد 86، السنة 10،ربيع الآخر1410 هـ- نوفمبر1989م،ص 103.

4- محمد برادة: اعتبارات نظرية لتحديد مفهوم الحداثة، مجلة فصول، الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة، المجلد 04، العدد 03، 01 يونيو 1984، ص12.

5- خيرة حمر العين: جدل الحداثة في نقد الشعر العربي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، ط1، 1997، ص31.

6- عدنان علي رضا النحوي: تقويم نظرية الحداثة، دار النحوي للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، 1412هـ، 1992م، ص35.

7- رولان بارط: درس السيميولوجيا، تر: عبد السلام بنعبد العالي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء- المغرب، ط3، 1993، ص44.

8- ابن منظور: لسان العرب، مج2، دار صادر، بيروت- لبنان، دط، ص131-133.

9- مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط4، 1425هـ/2004م، ص159-160.

10- محمد مصطفى هدارة: الحداثة في الأدب العربي المعاصر، هل انفض سامرها؟ ص102.

11- محمد برادة: اعتبارات نظرية لتحديد مفهوم الحداثة، ص11.

12- عبد العزيز حمودة، المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيك، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، دط، 1998، ص23.

13- يوسف الخال: الحداثة في الشعر، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت- لبنان، ط1، 1978، ص 15.

14- أدونيس علي أحمد سعيد: فاتحة لنهايات القرن بيانات من أجل ثقافة عربية جديدة، دار العود، بيروت، ط1، 1980، ص321.

15- فيصل دراج: الحداثة المتقهقرة طه حسين وأدونيس، مواطن، المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية، رام الله – فلسطين، دط، 2005، ص141.

16- المصدر نفسه، ص07.

17- فهمي جدعان: أسس التقدم عند مفكري الإسلام في العالم العربي الحديث، دار الشروق، عمان، ط3، 1988،ص116.
18- فيصل دراج: الحداثة المتقهقرة طه حسين وأدونيس، ص07.
19- المصدر نفسه، ص08.
20- ينظر، مصطفى الحسن: الدين والنص والحقيقة قراءة تحليلية في فكر محمد أركون، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت– لبنان، 2012، ط1، ص35.
21- المرجع نفسه، ص33-34.
22- فيصل دراج: الحداثة المتقهقرة طه حسين وأدونيس، ص07.
23- المصدر نفسه، ص07-08.
24- المصدر نفسه، ص 144.
25- المصدر نفسه، ص62.
26- ينظر، مصطفى الحسن: الدين والنص والحقيقة قراءة تحليلية في فكر محمد أركون، ص43-44.
27- فيصل دراج: الحداثة المتقهقرة طه حسين وأدونيس، ص64.
28- المصدر نفسه، ص73.
29- المصدر نفسه، ص74.
30- علي أسعد وطفة: مقاربات في مفهومي الحداثة وما بعد الحداثة، مجلة فكر ونقد، المغرب، مجلد؟، عدد43، 2001، ص102.
31- فيصل دراج، المصائر الغريبة للحداثة العربية، مجلة جمهة الشعر الالكترونية، تاريخ الزيارة: 2022/08/01، 12:58.
http://www.jehat.com/ar/DaftarAfkar/Pages/17-10-11a.html
32- فيصل دراج: الحداثة المتقهقرة طه حسين وأدونيس، ص165.
33- المصدر نفسه، ص165.
34- http://www.jehat.com/ar/DaftarAfkar/Pages/17-10-11a.html
35- أدونيس: الثابت والمتحول بحث في الإبداع والإتباع عند العرب، ج4، صدمة الحداثة وسلطة الموروث الشعري، دار الساقي، دط، ص05.
36- بتصرف، أدونيس: الثابت والمتحول بحث في الإبداع والإتباع عند العرب، ج1، الأصول، دار الساقي، بيروت- لبنان، ط7، 1994 ص263-266.
37- أدونيس: الثابت والمتحول بحث في الإتباع والإبداع عند العرب، ج3، صدمة الحداثة، دار العود، بيروت، ط1، 1978، ص10.
38- فيصل دراج: الحداثة المتقهقرة طه حسين وأدونيس، ص165.
39- المصدر نفسه، ص162.
40- المصدر نفسه، ص176.
41- أدونيس: النص القرآني وآفاق الكتابة، دار الآداب، بيروت، ط1، 1993، ص115.
42- المرجع نفسه، ص109.
43- عبد الرحمان محمد القعود: الإبهام في شعر الحداثة، العوامل والمظاهر وآليات التأويل، مطابع السياسة، الكويت، د ط، 2002، ص122.
44- http://www.jehat.com/ar/DaftarAfkar/Pages/17-10-11a.html
45- المرجع نفسه.
46- المرجع نفسه.
47- فيصل دراج: الحداثة المتقهقرة طه حسين وأدونيس، ص135.
48- المصدر نفسه، ص135.
49- المصدر نفسه، ص53.
50- المصدر نفسه، ص195.
51- http://www.jehat.com/ar/DaftarAfkar/Pages/17-10-11a.html

قائمة المصادر والمراجع:

1- ابن منظور: لسان العرب، مج2، دار صادر، بيروت- لبنان، دط.
2- أدونيس علي أحمد سعيد: فاتحة لنهايات القرن بيانات من أجل ثقافة عربية جديدة، دار العود، بيروت، ط1، 1980.
3- أدونيس: الثابت والمتحول بحث في الإبداع والإتباع عند العرب، ج1، الأصول، دار الساقي، بيروت- لبنان، ط7، 1994.
4- أدونيس: الثابت والمتحول بحث في الإبداع والإتباع عند العرب، ج4، صدمة الحداثة وسلطة الموروث الشعري، دار الساقي، دط.
5- أدونيس: الثابت والمتحول بحث في الإتباع والإبداع عند العرب، ج3، صدمة الحداثة، دار العود، بيروت، ط1، 1978.
6- أدونيس: النص القرآني وآفاق الكتابة، دار الآداب، بيروت، ط1، 1993.
7- أندريه لالاند: موسوعة لالاند الفلسفية، مج1، تر: خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت، ط2، 2001.

8- خيرة حمر العين: جدل الحداثة في نقد الشعر العربي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، ط1، 1997.
9- رولان بارط: درس السيميولوجيا، تر: عبد السلام بنعبد العالي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء- المغرب، ط3، 1993.
10- طوني بينيت – لورانس غروسبيرغ – ميغان موريس: مفاتيح اصطلاحية جديدة معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع، تر: سعيد الغانمي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت- لبنان، ط1، 2010.
11- عبد الرحمان محمد القعود: الإبهام في شعر الحداثة، العوامل والمظاهر وآليات التأويل، مطابع السياسة، الكويت، د ط، 2002.
12- عبد العزيز حمودة، المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيك، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، دط، 1998.
13- عدنان علي رضا النحوي: تقويم نظرية الحداثة، دار النحوي للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، 1412هـ، 1992م.
14- علي أسعد وطفة: مقاربات في مفهومي الحداثة وما بعد الحداثة، مجلة فكر ونقد، المغرب، مجلد؟، عدد43، 2001.
15- فهمي جدعان: أسس التقدم عند مفكري الإسلام في العالم العربي الحديث، دار الشروق، عمان، ط3، 1988.
16- فيصل دراج: الحداثة المتقهقرة طه حسين وأدونيس، مواطن، المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية، رام الله – فلسطين، دط، 2005.
17- فيصل دراج، المصائر الغريبة للحداثة العربية، مجلة جمة الشعر الالكترونية.
http://www.jehat.com/ar/DaftarAfkar/Pages/17-10-11a.html
18- مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط4، 1425هـ/2004م.
19- محمد برادة: اعتبارات نظرية لتحديد مفهوم الحداثة، مجلة فصول، الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة، المجلد 04، العدد 03، 01 يونيو 1984.
20- محمد مصطفى هدارة: الحداثة في الأدب العربي المعاصر، هل انقض سامرها؟ مجلة الحرس الوطني، العدد 86، السنة 10، ربيع الآخر1410 هـ- نوفمبر1989م.
21- مصطفى الحسن: الدين والنص والحقيقة قراءة تحليلية في فكر محمد أركون، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت– لبنان، 2012، ط1.
22- يوسف الخال: الحداثة في الشعر، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت- لبنان، ط1، 1978.